

قياس تمثيل القرآني أسلوبه وإستخدامه

Measuring the Qur'anic Proverbs (Representation): Its Style and Useعابده^{II}الدكتورة شبانه نذر^I**Abstract**

Proverbs and Representations are the most important part of the divine statement. They have a prominent share in bringing out the facts of faith from their effective method of diagnosing persuasion and facts and differentiation at the time of disagreement and suspicion. Learning of the Qur'anic Proverbs is very important; the great scholar who is diligent must have learned them. So the proverbs mentioned in the Qur'an have a great fortune. The number of proverbs mentioned in the Qur'an with the Representation words is forty-two and the proverbs that were mentioned without the words of Representation, they are so many. So we must turn to the method of representation in the Noble Qur'an in order to notice the signs of God in his Holy Qur'an and its miracles. Al-Imam Al-Shafi'i approached that the mujtahid must know the science of proverbs because they are among the most important sciences of the Qur'an. In this Research Paper I present the meanings of the "Proverb" (Representation), its linguistic definition, its derivation, as well as some of the evidence from them, and then I show the occurrence of this type from the Holy Qur'an and its use among the Arabs before Islam, as well as mention some Evidence for them. The proverbs that came in the Noble Qur'an have many kinds, some of them are long and some are short, and some are apparent and authorized, and some are latent in which there is no word of the proverb, so I explain all its kinds. Various purposes and wisdom of the Proverbs (Representation) in the Holy Qur'an are also enlightened in this Paper.

Key Words: Qur'an, Proverbs, Representations, Occurrence, Style, Mujtahid

تمهيد

الأمثال أهم جزء من أجزاء البيان الإلهي، ولها سهم بارز في إخراج حقائق الإيمان من أسلوبها

I الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة الإسلامية بهاولبور

II المحاضرة، علوم الإسلامية، بقسم التعليم العالي، خير بختون خوا

الفعال في تشخيص الإقناع والحقائق، والتفريق وقت الإختلاف والاشتباه، وإن عامة الأمثال القرآنية تضرب للقضايا الكبار والمسائل العظيمة التي تتعلق بأصول الدين، لذا إختص العلماء جهودًا جليلًا لفهمها. ومعرفة الأمثال القرآنية مهمة جدا، ولا بد للعالم المعترف المجتهد منها، ولا يتفكر فيها ولا يستطلب بلاغتها إلا من له نور عقلٍ حاذقٍ ولبُّ لامعٍ، فالأمثال التي ذُكر في القرآن لها حظٌ كبير فعدد الأمثال التي ذكرت في القرآن بأداة التمثيل إثنان وأربعون مثلا وهي كما يلي: في سورة البقرة ثمانية أمثال، وإثنان في سورة آل عمران، ومثل واحد في سورة الأنعام، وواحد في سورة الأعراف، وواحد في سورة يونس، وواحد في سورة هود، وثلاثة أمثال في سورة الرعد، وفي سورة إبراهيم ثلاثة أمثال، وفي سورة النحل ثلاثة أمثال، وإثنان في سورة الكهف، وإثنان في سورة الحج، وإثنان في سورة النور، وواحد في سورة العنكبوت، وواحد في سورة يس، وواحد في سورة الروم، وواحد في سورة الزمر، وإثنان في سورة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وواحد في سورة الفتح، وإثنان في سورة الحشر، وواحد في سورة الجمعة، وإثنان في سورة التحريم. والأمثال التي ذكرت بغير أداة التمثيل فهي كثيرة فلا بد لنا من أن نتوجه إلى أسلوب التمثيل في القرآن الكريم كي نلاحظ آي الله في كتابه ومعجزاته، كما يقول الإمام الماوردي:

"مَنْ أَعْظَمَ عِلْمَ الْقُرْآنِ عِلْمُ أَمْثَالِهِ وَالنَّاسُ فِي عَقْلِهِ عَنْهُ لِاشْتِعَالِهِمْ بِالْأَمْثَالِ وَإِعْفَالِهِمْ الْمُمَثَّلَاتِ وَالْمَثَلُ بِأَلَا مَثَلٌ كَالْقُرْسِيِّ بِأَلَا لِحَامٍ وَالنَّاقَةِ بِأَلَا زِمَامٍ"¹

وقد نهج الإمام الشافعي بأن لا بد للمجتهد معرفة علم الأمثال لأنها من أهم علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدالة على طاعة الله الباعثة على اجتناب معصيته².

وقد قرر الله تعالى في القرآن الكريم أهمية التمثيل، فقال:

"وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"³.

وقال:

"وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"⁴.

فكلمة "العالمون" في هذه الآية يخبرنا بأن الباحث الذي يبحث عن أمثال القرآن وأسلوبه ليس مشغولاً باللغو بل هو عالم عند الله كالحائض في علم التفسير والحديث وغيره من العلوم الدينية.

وروي عن أحد السلف أنه قال⁵: كانت من فطرتي بأني إذا تلوت القرآن ومررت بمثل من أمثال

القرآن ولم أستطع التدبر عليه فبكيته على نفسي؛ لأن الله يقول:

"وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"⁶.

وكذلك روى الإمام البيهقي:

فالأمثال جمع "المثل" والتمثيل مصدرٌ منها من باب التفعيل فمادة الأمثال والتمثيل واحدة وهي "مثل" ومعنى المثل في اللغة: النظر والشبيه. كما ذكر الإفريقي في كتابه "لسان العرب": المثل: "كلمةٌ تَسْوِيَةٌ يُقَالُ: هَذَا مِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ كَمَا يُقَالُ شَبَّهَهُ وَشَبَّهَ وَشَبَّهَهُ بِمَعْنَى"¹⁶.

وأصل ذلك النوع مبنيةٌ على تشبيه شيء واحدٍ بآخر، لوجود سبب التشابه وعنصر التماثل بين الشيئين، وأحياناً لوجود عنصرَي التشابه أو أكثر، وقد يعبر به عن المماثلة التامة.

كما عرف ابنُ القيم الجوزية فقال:

"وقع في القرآن الكريم أمثال وأن أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها شبيهة شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر"¹⁷.

إستخدام هذا المعنى في القرآن الكريم:

لقد جاء هذا المعنى للأمثال كثيراً في كتاب الله العزيز، وقد صاغها الله للناس بصيغٍ مختلفة، فمنها ما يأتي بلفظ "مثل" أو بغير اداة التشبيه مثل قوله عزوجل:

"مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ"¹⁸.

وكثيراً ما يأتي هذا القسم في كتاب الله العزيز بلفظ "مثل" مقروناً بكاف التشبيه، مثل: قوله

عزوجل:

"مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا"¹⁹ وكذلك قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"²⁰ وأحياناً يأتي متصلاً بأداة من ادوات التشبيه ولكن بدون لفظ "مثل" كقوله عزوجل: "وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ"²¹.

إستخدام هذا المعنى عند العرب

يقال: الدَيْخُ فِي خَلْوَتِهِ مِثْلُ الْأَسَدِ. ومعنى الدَيْخ: ذَكَرُ الضَّبَاع. ويُضْرَبُ هذا المثل للشخص الذي إذا يكون منفرداً يدعى دعوى ولكن إذا طولب منه ذلك الدعوى في الجلوت (الجماعة للناس) يعجز عنه²². وكذلك يقال: إِنَّمَا هُوَ كَبِيرِقُ الْخُلْبِ. وَبَرَقُ خُلْبٌ، هو البرق الخالية من الغيث كأنه خادعهم. والخُلْبُ كذلك معناه: السحاب الخالية من المطر أي السحاب الذي ليس فيه مطر، فإذا قيل: برق الخلب، فمعناه برقُ السحابِ الخلب. ويضرب هذا المثل لمن لا ينجز العهد ويخلف وعده²³.

❖ الثاني

ثم قالوا للقول السائر الممثل مضربه بمورده²⁴: مثلاً²⁵، أي يطلق لفظ "المثل" كعَلَمٍ لكل قولٍ شاع واشتهر بين الناس، وتلقته الالسن وكثر تمثل الناس به.

إستخدام هذا المعنى في القرآن الكريم

إن القول الموحز الحكيم يصبح مثلاً إذا سار بين الناس، وكثر تمثلهم به يصبح مثلاً . ومن هذا بعض أجزاء الآيات او الآيات بأسرها التي تداولها الناس، ولكن لا تُعَدُّونها من الامثال عند اول نزولها، وإذا سارت على ألسنة الناس ويتمثلون بها اعتبرت أمثالاً.
وأمثلة ذلك كثيرة منها: قوله:

"هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ".²⁶ وقوله: "وَلَا يَجِئُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ".²⁷ وقوله: "كُلُّ حِرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ".²⁸

إستخدام هذا المعنى عند العرب

تقول العرب: أحمق من الرُّبْع وهذا مثل سائر عن كثير من العرب ، قال حمزة: "إلا أن بعض العرب دفع عنه الحمق فقال: وما حمق الرُّبْع؟ والله إنه ليتجنَّب العدوى، ويتبع أمه في المرعى، ويرواح بين الأطباء، ويعلم أن حنينها له دعاء، فأين حمقه؟²⁹

كذلك يقال: كلُّ شاةٍ برجلِها سَنُطُطُ. والنَّوْطُ: يأتي في معنى التَّعلُّيق، ومعنى هذا المثل: كل نفسٍ يُؤخَذُ بمأثمه وجنايته، ويقول الإمام الأصمعي: أي لا يجوز لواحدٍ أن يأخذ بالذنب غير المذنب، ويقول أبو عبيدة: وهذا مثلٌ سائر في الناس.³⁰

❖ الثالث

يطلق لفظ "مثل" بمعنى وصف الشيء. كما قال الإفريقي في "لسان العرب": ومثل الشيء وصفته واحداً. كما قال الله تعالى:
"مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ".³¹

إستخدام هذا المعنى في القرآن الكريم

يقول الإمام الطبري في تفسير قوله عزوجل:

"مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ".³² أي صفة الجنة التي وعدها المتقون.³³

وكما قال الله عزوجل في موضع آخر:

"للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى".³⁴

فمعناه بأن للكافرين الذين لا يؤمنون باليوم الآخرة الصفات الذميمة والله الصفات العلى.³⁵

وقد بين المعاصرون³⁶ معنى بديعاً آخر وهو: أن لفظ "مثل" و "مِثْل" إذا جاءا مقترنين بكاف

التشبيه، فتكون أقرب تفسير لهما بمعنى: "الوصف"، وفي هذه الصورة يمكن لنا أن نقول في قوله عزوجل:

"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"³⁷

ليس كوصفه شيء، أي لا يساوي ولا يشبه اوصافه شيء من الاشياء، وذلك يمكن إذا نستعمل المثل والمثل بمعنى الوصف .³⁸

وبهذا ينحل الإشكال الذي ألقاه العلماء إلى تأويل اجتماع كلمتي تشبيه: هما "الكاف" و "مثل" وهل الكاف زائدة، أو للتأكيد، أو أن المراد نفي مثل المثل، فنفي المثل من باب أولى، إلى غير ذلك من كلام طويل حول هذا التعبير ونظيره:

"فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ".³⁹ و"فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ".⁴⁰ "كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا".⁴¹ "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ".⁴²

ولما كان العرب لا يضربون الأمثال إلا بقول فيه حُسن وغرابة، نقلوا لفظ المثل إلى معنى الشأن الغريب، والقصة العجيبة، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات ؛ كقوله تعالى:

"مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ".⁴³ أي: فيما نقص عليكم القصص العجيبة فهي قصص الجنة العجيبة.⁴⁴

إستخدام هذا المعنى عند العرب

تقول العرب: لَيْسَ الْمِجَالِدَةُ كَمِثْلِ الدَّمْسِ. أي ليس المجدالة على وصف الدمس، ومعنى المجدالة: المبارزة والمجاهرة، يقول الإمام الأصمعي:

حَالِيئُهُ بِالْأَمْرِ وَحَالِحَتُهُ، إِذَا جَاهَرَتْهُ بِهِ، وَمَعْنَى الدَّمْسِ الإخْفَاءُ وَالدَّفْنُ، كَمَا يُقَالُ: دَمَسْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ أَدْمِسُهُ دَمْسًا. فهذا المثل يضرب في الفرق بين الجلي والخفي.⁴⁵

وأيضاً دل على هذه المعاني الإمام الزمخشري، وبين بأنها وردت في معاجم اللغة على هذا الترتيب، كما يقول في تفسيره "الكشاف":

"والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مثل، ولم يضربوا مثلاً، ولا رأوه أهلاً للتسيير، ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ثم قال: وقد استعير المثل للحال، أو الصفة، أو القصة إذا كان لها شأن، وفيها غرابة".⁴⁶

❖ الرابع

وأحياناً يجيئ لفظ "مَثَلٌ" بمعنى رابع وهو "المثال". قال في "لسان العرب":

"والمِثْلُ ما جعل مثلاً أي مقداراً يحدى عليه، والجمع: المِثْلُ، وثلاثة أمثلة".⁴⁷

إستخدام هذا المعنى في القرآن الكريم

قد جاء هذا المعنى كثيراً في أمثال القرآن الكريم، وهو بأن الله تعالى يضرب أمثال اللذين آمنوا به وأطاعوه من الأمم السابقة ليقنتدوا بهم الذين جاؤوا من بعدهم في استقامتهم على نهج ربهم، وثباتهم عليه، وكذلك يضرب أمثال المنافقين والكافرين وغيرهم من الضالين لينذرهم ويعظهم ويرهب من طريقتهم. فقوله:

"فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلآخِرِينَ".⁴⁸ أي مثلاً للآخرين، وقوله: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وَامْرَأةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ".⁴⁹ أي بين الله مثلاً. ومن ذلك قوله تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَخَفَّفْنَاهُمَا بِتِنْحَلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا".⁵⁰

إستخدام هذا المعنى عند العرب

تقول العرب: فلان مثلٌ في الصبر على الإبتلاء، أي مثال. ويقال: مثلك في الحزم عمر أي

مثالك.⁵¹

وكذا احتير لبيان الأمثال كلمة الضرب لانه يأتي عند ارادة التأثير وهيج الانفعال، كأن الممثل يقرع بضرِب المثل أذن السامع ليُدخل أثره في قلبه حتى ينتهي هذا الأثر إلى أعماق نفسه.

أسلوب التمثيل في القرآن الكريم

الأمثال التي جاءت في القرآن الكريم قد ضمن الإعجاز، فمنها الأمثال الطوال ومنها القصار،

ومنها ظاهر مصرح به، ومنها كامن لا ذكر للمثل فيه.⁵²

● فمن الأمثال الطوال قوله تعالى: "ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط.... الآية"، و"ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون.... الآية"، و"مرم ابنة عمران التي أحصنت فرجها.... الآية"، و"فمثلته كمثل صفوانٍ عليه تراب... الآية"، و"الذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً... الآية"، "أو كظلمات في بحر لجى.... الآية".

● ومن الأمثال القصار قول الله عز وجل: "كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت" الآية "ومثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث" الآية "كمثل الحمار يحمل أسفاراً".....

● ومن أمثال ظاهرٍ مصرح به: جميع الأمثال التي دُكرت فيها كلمة "مثل أو كاف التشبيه أو أداة من أدوات التشبيه والتمثيل" كقوله تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله".⁵³ الآية فضرب الله في هذه الآيات مثلين للمنافقين: مثلاً بالنار، ومثلاً بالمطر، فالمثل في هذه الآيات ظاهرٌ مصرحٌ به.

● والمراد بالأمثال الكامنة جميع الأمثال التي ليس مذكورٌ فيها كلمة "المثل أو كاف التشبيه أو أي أداة من أدوات التشبيه والتمثيل"، وهذا النوع من الأمثال كثير في القرآن وعند العرب، فقد توجد في القرآن الكريم أمثال ما يماثل بأمثال العرب، وكم من كلمة كانت تدور على ألسنة الناس مثلاً فجاء القرآن بأخص منها وأحسن منها كقول الله تعالى: "وَلَا تُجْعَلْ يَدُكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ" فهذه الآية كقولهم: (خير الأمور أوساطها)، وقوله تعالى: "من يعمل سوءاً يجز به" كقولهم: (مَا تَزِرُ وَضْعَةٌ).⁵⁴

كما قال الإمام المفسر ماوردي:

"سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي مضارب بن إبراهيم يقول: قلت للحسين بن الفضل: إنك تخرج من القرآن أمثال العرب والعجم؛ فهل وجدت في القرآن (خير الامور اوساطها)؟ قال: نعم!

وجدته في اربعة مواضع: أولاً: قوله تعالى: "لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك" ⁵⁴، وثانياً: قوله تعالى: "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً" ⁵⁵، وثالثاً: قوله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط" ⁵⁶، ورابعاً: قوله تعالى: "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً" ⁵⁷.

ثم قلت له: فهل وجدت في كتابه عزوجل:

(من كان جاهلاً عن شيءٍ عاداه؟)، قال: نعم! وجدته في موضعين: "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه" ⁵⁸، "وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم" ⁵⁹. قلت: فهل وجدت في كتابه تعالى: (إذا أحسنت إلى أحدٍ فاحذر شره)؟ قال: نعم! وجدته في "وما نعموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله" ⁶⁰.

فسألتُه: هل وجدت في كتابه تعالى (ليس الخير كالمشاهدة)؟ قال: نعم! وجدته في قوله تعالى: "قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" ⁶¹. ثم سألتُه: هل وجدت فيه: (في الحركة البركة)؟ قال: نعم! وجدته في قوله تعالى: "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة" ⁶². فسألتُه: هل وجدت فيه: (كما تدين تدان) قال: نعم! وجدته في قوله تعالى: "من يعمل سوءاً يجز به" ⁶³. فسألتُه: وهل وجدت فيه: (حين تقلي تدري) قال: نعم! وجدته في قوله تعالى: "وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً" ⁶⁴.

فسألتُه: هل وجدت فيه: (المؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين)؟ قال: نعم! وجدته في قوله: "هل آمنكم عليه إلا كما آمنكم على أخيه من قبل" ⁶⁵. ثم سألتُه: هل وجدت فيه: (من يعين ظالماً سلط عليه)؟ قال: نعم! وجدته في قوله: "كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عاب السعير" ⁶⁶. فسألتُه: هل وجدت فيه: (لا تلد الحية إلا حية)؟ قال: نعم! وجدته في قوله: "ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً" ⁶⁷. ثم سألتُه: هل وجدت فيه: (للجُدُرِ آذان)؟ قال: نعم! وجدته في قوله: "وفيكم سماعون لهم" ⁶⁸.

فسألتُه: هل وجدت فيه: (العالم محروم والجاهل مرزوق)؟ قال: نعم! وجدته في قوله: "من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً" ⁶⁹. فسألتُه: هل وجدت فيه: (الحلال لا يأتيك إلا قوتاً، والحرام لا يأتيك إلا جزافاً)؟ قال: نعم! في قوله تعالى: "إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يستطيعون لا تأتيهم" ⁷⁰. انتهى ⁷¹.

أمثال العرب الأخرى المشابهة بالأمثال القرآنية

هناك أمثال كثيرة التي كانت شائعة في العرب فجاء القرآن في تأييدها، ومنها:

قول العرب: القتل أنفى للقتل. فهو كقوله تعالى:

"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" ⁷².

وقول العرب: إن عادت العقرب عدنا لها. فهو كقوله تعالى:

"وَإِنْ عُدَّتْ عُدَّتْنَا" ⁷³ "وَإِنْ تَعُدُّوا نَعُدُّ" ⁷⁴.

وقول العرب: إن غداً لناظره قريب. فهو كقوله تعالى:

"الْيَسَّ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ" ⁷⁵.

وقول العرب: قد وضع الأمر لذي عينين. فهو كقوله تعالى:

"الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ" ⁷⁶.

وقول العرب: مصائب قوم عند قوم فوائد. فهو كقوله تعالى:

"إِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يُفْرِحُوا بِهَا"⁷⁷.

وقولهم: من حفر لأخيه بئراً وقع فيها. فهو كقوله تعالى:

"وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ"⁷⁸.

وقولهم: المأمول خير من المأكول. فهو كقوله تعالى:

"وَلَا اجْزَىٰ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأَوْلَىٰ"⁷⁹.

وقولهم: كل شاة ستناط برجليها. فهو كقوله تعالى:

"كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً"⁸⁰.

أغراض التمثيل القرآني وفوائدها

الكلام على أغراض التمثيل وفوائدها متداخل، لأن أهمية الشيء تكون موقوفة على الأغراض التي يؤديها. فيعد التمثيل في القرآن الكريم طريقاً من الطرق التي يثبت بها الإعجاز القرآني وتبين بلاغته، كما يقول إبراهيم النظام:

"يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية،

فهو نهاية البلاغة"⁸¹. وقال ابن المقفع: "إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وأتقن للسمع، وأوسع

لشُغوب الحديث"⁸².

فيساق التمثيل في الكتاب العزيز لأغراض وحكم شتى من أهمها

● تقرير المراد وتقريبه للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فيضرب الله الأمثال في كتابه العزيز ليُدرِك نفوس

العباد ما هو غائبٌ عن أبصارهم وأسماعهم بما عاينوا إلى غير ذلك.⁸³ كما قال الرَّحْمَنُ شَرِيًّا:

"الْتَّمَثِيلُ إِذَا بُصِّرَ إِلَيْهِ: لِكَشْفِ الْمَعَانِي وَإِدْنَاءِ الْمُتَوَكِّمِ مِنَ الشَّاهِدِ فَإِنْ كَانَ الْمَثَلُ لَهُ عَظِيمًا كَانَ الْمُتَمَثِّلُ بِهِ

مِثْلَهُ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا كَانَ الْمَثَلُ بِهِ كَذَلِكَ"⁸⁴.

كقول الله عزوجل في حق المنافقين:

"ومثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صُمُّ

بُكْمٌ غُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ - إلى قوله

- إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"⁸⁵. فضرب الله مثلين بحسب حال المنافقين: "مثلا ناريا ومثلا مائيا لما في الماء

والنار من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل

من السماء متضمنا حياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به

رأسا أمواتا في الظلمات، وأحبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء

له ويتنفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا به تشبيه الكفار بالمطر المصاحب للظلمة

والرعد والبرق وآمنوا به وحالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عنهم وذهب الله بنورهم⁸⁶."

- ومنها: إصلاح النفوس وصقل الضمائر وتهذيب الأخلاق: كقوله تعالى في حق المشركين الذين لا يكتفون على إله واحد بل اتخذوا آلهة من دون الله:

"مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ". فذكر سبحانه: "أهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتًا، وهو أوهن البيوت وأضعفها؛ وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا من اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا. وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده."

- ومنها: تقويم المسالك وتصحيح العقائد: كما في قوله تعالى:

"ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".

هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشارك والموحّد؛ فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون، والرجل الشكس الضيق الخلق، فالمشارك لما كان يعبد آلهة شتى شبيهه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحّد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخطاء فيه، بل هو سالم لملكه من غير تنازع فيه، مع رافة مالكة به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتولّيه لمصالحه، فهل يستويان هذان العبدان؟ وهذا من أبلغ الأمثال: فإن الخالص لملك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاتة إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين الحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون .

- ومنها: تنوير البصائر، والهداية إلى ما فيه خير الفرد، وصلاح الجماعة والتنبيه إلى المساوئ لتجنب، وإلى المحاسن لتقبل عليها النفوس الطيبة، والقلوب الزكية ، فقال الزكشفي في البرهان: ومن حكّمته:

"تَعْلِيمُ الْبَيَانِ وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ"⁸⁷.

- وكذلك يستفاد من أمثال القرآن أمور كثيرة أخرى فمنها: التذكير، والحث، والاعتبار، والزجر، وتصوير المراد للعقل بصورة المحسوس، فإن الأمثال تعرض المعاني في صورة الاشخاص، لأن الصور أثبت في الذهن لأن الأذهان تستعين فيها بالحواس، ومن أغراض المثل تشبيه الحفى بالجلي، والغائب بالمشاهد⁸⁸. و"قد تأتي أمثال القرآن مُشْتَمِلَةً عَلَى بَيَانِ تَفَاوُتِ الْأَجْرِ وَعَلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَعَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَعَلَى تَفْخِيمِ الْأَمْرِ أَوْ تَخْفِيرِهِ وَعَلَى تَحْقِيقِ أَمْرٍ أَوْ إِبْطَالِهِ" كما قال الله تعالى: "وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ" ففي هذه الآية إمتن الله علينا بالمثل لأن المثل تتضمن كثيرة من الفوائد⁸⁹. كما قال الشّيخ عز الدين:

"إِنَّمَا ضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ فِي الْقُرْآنِ تَذْكِيرًا وَوَعظًا فَمَا اشْتَمَلَ مِنْهَا عَلَى تَفَاوُتٍ فِي نَوَابِ أَوْ عَلَى إِحْبَاطِ عَمَلٍ أَوْ عَلَى مَدْحٍ أَوْ دَمٍّ أَوْ نُحُودٍ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْأَحْكَامِ"⁹⁰.

فائدة مهمة للأمثال في القرآن

وقد قرر العلماء أمثال القرآن أصولا وقواعد لعلم تعبير الرؤيا لمن أحسن الاستدلال بها، والعالم الذي يفهم أمثال القرآن فإنه يُعَبَّرُ به الرؤيا أحسنَ تعبير لأن أصول التعبير الصحيحة إنما أخذت من مشكاة القرآن الكريم وهنا نذكر بعض التعبيرات ما لها علاقة بالأمثال القرآنية. مثلاً:

الخشب المقطوع المتساند تُعبّر بالمنافقين. وهذا التعبير مأخوذ من المثل الوارد في قوله تعالى: "كَانَهُمْ خَشْبٌ مَسْنَدَةٌ..."⁹¹.

وكذلك تعبير النساء بالببيض هو مأخوذ من قوله تعالى: "كَانَتْهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ"⁹².
وأيضاً تعبير الرماد بالعمل الباطل مأخوذ من قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ..."⁹³.

وكذلك تعبير النخلة بالرجل المؤمن مأخوذ من قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ..."⁹⁴.

وَقَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ:

"لِضَرْبِ الْعَرَبِ الْأَمْثَالَ وَاسْتِحْضَارِ الْعُلَمَاءِ التَّطَايُرِ شَأْنٌ لَيْسَ بِالْحَقِيقِيِّ فِي إِبْرَازِ خَفِيَّاتِ الدَّقَائِقِ وَرَفْعِ الْأَسْتَارِ عَنِ الْحَقَائِقِ تُرْبِكَ الْمُتَخَيَّلِ فِي صُورَةِ الْمُتَحَقِّقِ وَالْمُتَوَهِّمِ فِي مَعْرِضِ الْمُتَيَسِّعِ وَالْعَائِبِ كَأَنَّهُ مُشَاهِدٌ وَفِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ تَبَكِّيْتُ لِلْخَصْمِ الشَّدِيدِ الْخُصُومَةَ وَقَمَعَ لِسُورَةِ الْجَامِحِ الْأَبِيِّ فَإِنَّهُ يُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ مَا لَا يُوَثِّرُ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ وَلِذَلِكَ أَكْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَفِي سَائِرِ كُتُبِهِ الْأَمْثَالَ وَمِنْ سُورِ الْإِنْجِيلِ سُورَةٌ تُسَمَّى سُورَةَ الْأَمْثَالِ وَفَشَتْ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْحُكَمَاءِ"⁹⁵.

الحواشي والهوامش

- 1 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإبتقان في علوم القرآن: 4: 44، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ
- 2 نفس المصدر 1: 1041
- 3 سورة الزمر: 39: 27
- 4 سورة العنكبوت: 29: 43
- 5 خطبة المسجد الحرام، - 26 رمضان 1432هـ، موضوع الخطبة: تدبر الأمثال في القرآن الكريم، خطيب: الشيخ سعود الشريم.
- 6 سورة العنكبوت: 29: 43

- 7 البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، شعب الإيمان، رقم الحديث (2090) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423هـ
- 8 الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: 1056، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، 1426هـ
- 9 الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال: 1: 6، دار المعرفة - بيروت، لبنان (س-ن)
- 10 نفس المصدر: 1: 145
- 11 مجمع الأمثال: 1: 178
- 12 نفس المصدر: 2: 268
- 13 مجمع الأمثال: 2: 198
- 14 نفس المصدر: 1: 225
- 15 سَلَمَة بن مُسْلِم العَوْتِي الصُّحَارِي، الإبانة في اللغة العربية، 2: 196، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 1999م
- 16 الإفريقي، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب: 11: 610، دار صادر، بيروت، 1414هـ
- 17 ابن قيم الحوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الأمثال في القرآن: 9، مكتبة الصحابة - مصر، 1406هـ
- 18 سورة هود: 11: 24
- 19 سورة البقرة: 2: 17
- 20 سورة الجمعة: 62: 5
- 21 سورة الحج: 22: 31
- 22 مجمع الأمثال: 1: 282
- 23 نفس المصدر
- 24 "مورد المثل"، يراد به: "الحالة التي قيل فيها ابتداءً". انظر: نفس المرجع.
- 25 محمد إبراهيم عبادة، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسم للسيوطي: 99، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1424هـ
- 26 سورة الرحمن: 55: 60
- 27 سورة فاطر: 34: 43
- 28 سورة المؤمنون: 23: 53
- 29 مجمع الأمثال: 1: 225
- 30 نفس المصدر: 2: 133
- 31 لسان العرب، للإفريقي: 11: 611
- 32 سورة الرعد: 13: 35

- 33 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن 22: 166، دار التربية والتراث مكة المكرمة (س-ن)
- 34 سورة النحل 16: 60
- 35 الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، المفردات في غريب القرآن: 759، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، 1412هـ
- 36 الميداني، عبد الرحمن بن حسن حنبله، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع تأملات وتدبر، دار القلم، دمشق، 1412هـ
- 37 سورة الشورى 42: 11
- 38 الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: 1: 52
- 39 سورة الأعراف: 7: 176
- 40 سورة البقرة: 2: 264
- 41 سورة البقرة: 2: 17
- 42 سورة العنكبوت 29: 41
- 43 سورة محمد 47: 15
- 44 محمد الحضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة 2: 32، دار النوادر، سوريا، 1431هـ
- 45 مجمع الأمثال 2: 198
- 46 الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 1: 72، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ
- 47 لسان العرب 11: 612
- 48 سورة الزخرف 43: 56
- 49 سورة التحريم 66: 10
- 50 سورة الكهف 18: 32
- 51 الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، لعبدالله الجربوع 1: 72
- 52 الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي 4: 46
- 53 سورة البقرة: 2: 17-20
- 54 سورة البقرة: 2: 68
- 55 سورة الفرقان 25: 67
- 56 سورة الإسراء 17: 29
- 57 سورة الإسراء 17: 110
- 58 سورة يونس 10: 39
- 59 سورة الأحقاف 46: 11

60	سورة التوبة 9: 74
61	سورة البقرة 2: 260
62	سورة النساء 4: 100
63	سورة النساء 4: 123
64	سورة الفرقان 25: 42
65	سورة يوسف 12: 64
66	سورة الحج 22: 4
67	سورة نوح 71: 27
68	سورة التوبة 9: 47
69	سورة مريم 19 : 75
70	سورة الأعراف 7: 163
71	الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي 4: 48
72	سورة البقرة 2: 179
73	سورة الإسراء 17: 8
74	سورة الأنفال 8: 19
75	سورة هود 11: 81
76	سورة يوسف 12: 51
77	سورة آل عمران 3: 120
78	سورة فاطر 34: 43
79	سورة الضحى 93: 4
80	سورة المدثر 74: 38
81	عبد القادر محمد منصور، موسوعة علوم القرآن: 248، دار القلم العربي، حلب، 1422هـ
82	مجمع الأمثال 1: 6
83	القنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان ، أجمد العلوم: 509، دار ابن حزم، 1423هـ
84	الإتقان في علوم القرآن 4: 45
85	سورة البقرة 2: 17-20
86	ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله "محمد بن أبي بكر بن أيوب، إعلام الموقعين عن رب العالمين 2: 281، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1423هـ
87	الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بھادر، البرهان في علوم القرآن 1: 487، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1386هـ
88	إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية 2: 294، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ

الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي 4: 46	89
الموسوعة القرآنية 2: 294	90
سورة المنافقون 63: 4	91
سورة الصفات 37: 49	92
سورة ابراهيم 14: 18	93
سورة ابراهيم 14: 24	94
الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 4: 46	95